



المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:08، العدد:01 (2024)، ص109 - 121

العلاقات النوميدية الإغريقية ما بين (203–46 ق.م)

the Numidian-Greek relations during (203-46 BC)

سليم سعيدي

مخبر دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع

جامعة باتنة 01 (الجزائر)

salim.saidi@univ_batna.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/02/29

تاريخ القبول:
2024/04/03

الكلمات المفتاحية:

- ✓ نوميديا
- ✓ ماسينيسا
- ✓ ديلوس
- ✓ رودس

الملخص:

إن الهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على أصول العلاقات النوميدية الإغريقية في الميادين التجارية والسياسية، والحضارية، فقد دشن الملك النوميدي ماسينيسا بعد اعتلائه العرش سنة 203 ق.م عهدا جديدا لمملكته، إذ انفتحت الدولة النوميدية على شعوب البحر المتوسط، ودخلت في علاقات مع دول الجوار، وكانت المدن الإغريقية من أهم المناطق التي كانت تربطها علاقات سياسية واقتصادية مع نوميديا، واتضح ذلك في العثور على عدة بقايا مادية في المملكة النوميدية كالجرار والمصابيح الفخارية والأواني المعدنية، وكذلك في استقرار جاليات إغريقية في العاصمة سيرتا. ومن النتائج التي توصلت إليها أن نتج عنها تفاعل حضاري هام تجلّى في تبني المعبودات البونية، وهذا ما تؤكده عدة نقائش عثر عليها في معبد الحفرة. وبالمقابل شيد الإغريق الأنصاب والتماثيل لماسينيسا وغلوسة هيمبصال الثاني كشكر لهم واعتراف منهم بالجميل. غير أن التأثيرات الحضارية وخاصة اللغوية قد ضلت محصورة في القصر الملكي ولدى النخبة النوميدية.

Article info

Received:
29/02/2024

Accepted:
03/04/2024

Key words:

- ✓ Numidia
- ✓ Massinissa
- ✓ Delos
- ✓ Rhodes

Abstract:

The aim of this study is to examine on the origins of the Numidian-Greek relations in fields political, trade civilizations relations, When the Numidian king reached the throne in 203 BC, he started a new era for his kingdom. The Numidian state opened up to the peoples of the Mediterranean and entered into relations with neighboring countries. The Greek cities were among the most significant areas that had political and economic relations with Numidia. This evident throughout the discovery of many material remains in the Numidian kingdom, such as jars, pottery lamps and metal utensils, as well Greek communities lived in the capital, Cirta, The results that reached which resulted in an important cultural harmony that was evident in the adoption of this Punic deities, and this is confirmed by several inscriptions found in the Alhofra temple. In return, the Greeks build monuments and statues to Massinissa, Gulussa, and Hiempsal II as a thank and an acknowledgment of their gratituded. But the cultural influences, especially the linguistic ones, remained limit to the royale palace and the Numidian elite.

مقدمة

يعد عهد الملك ماسينيسا (203-148 ق.م) عهد انفتاح المملكة النوميدية على العالم الخارجي لاسيما بعد انهزام الملك سيفاكس وتوحيد المملكة وضم إقليم إمبوريا والمنطقة الطرابلسية لمملكته، والاستيلاء على عدد هام من الموانئ المغاربية، مما مكنه من خلق بحرية حربية قوية تحمي تجارته إلى جانب قيامها ببعض الرحلات البحرية التي وصلت حتى منطقة شرق البحر المتوسط، فكل هذا ضمن له السيطرة التامة على الصادرات النوميدية باتجاه دول البحر الأبيض المتوسط، ومنها دويلات العالم الإغريقي (كامبس، 2008، ص ص238-239)، فبفضل هذا الأسطول تمكن النوميديون من الاتصال مباشرة ببلاد الإغريق وبتجارها ومثقفيها ليس لتبادل البضائع فحسب، بل والأفكار أيضا، التي وصلت حتى المناطق الداخلية للمملكة (فنطر، 1998، ص77).

وسنحاول في هذا المقال الإجابة عن التساؤلات الآتية: **متى بدأت العلاقات النوميدية الإغريقية؟ ما هي أهم المجالات التي عرفتها تلك العلاقات؟ ما حقيقة وجود مستوطنة إغريقية في العاصمة سيرتا؟ وما مدى تأثر المملكة النوميدية بالحضارة الإغريقية؟**

1. العلاقات التجارية والدبلوماسية

يبدو أن جذور العلاقات التجارية بين النوميديين والإغريق تعود على الأقل إلى القرن السادس قبل الميلاد، فقد كشفت التنقيبات الأثرية على وجود عدة بقايا إغريقية بالمناطق الساحلية وحتى ببعض المدن الداخلية خاصة الجرار الكورنيثية والأتيكية (منصوري، 2002، ص ص98-99). غير أن هذه العلاقات عرفت تطورا بارزا منذ نهاية الحرب البونية الثانية، وهذا يعود لعدة عوامل ساهمت في تطور هذه العلاقات بينهما خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، نذكر منها:

- انتهاء دور القرطاجيين كوسطاء بين النوميديين والعالم المتوسطي بعد ضعف قرطاج ثم تدميرها نهائيا، وهذا ما دفع بتقدم السفن الإغريقية ووصولها للموانئ النوميدية، وبداية لعلاقات تجارية مباشرة، مما زاد في العائدات المالية للمملكة النوميدية.

-علاقات الصداقة التي كانت وطيدة بين الملوك النوميديين بنظرائهم في المدن الإغريقية، وهذا الأمر قد ساهم في دعم المبادلات التجارية بينهما. فضلا على الاستقرار الاقتصادي والسياسي للملكة النوميدية لاسيما في عهد الملكين ماسينيسا وميكيبسا (148-118 ق.م). (Mansouri, 2004, pp148-149).

ومن أهم المدن التي كانت ذات علاقات اقتصادية كبيرة مع المملكة النوميدية نذكر مدينة رودس التي كانت قوة تجارية كبرى في البحر المتوسط، وهذا ما تؤكده الجرار المكتشفة في العاصمة سيرتا (Aoulad, 2004, pp29-41). إذ زودها النوميديون عدة مرات بكميات معتبرة من القمح كهدايا، فضلا عن مواد أخرى (Mansouri, 2004, p144)، نذكر منها ثلاثين تالنت[1] من مادة العاج، وخمسين تالنت من خشب العفصة (thuya) لصناعة التماثيل الإلهية، كما زودوهم بخشب العرعار والسرو والعناب، التي كانت تصنع منها

التماثيل والأثاث الفاخر كالطاولات الذي يبلغ ثمنها ما بين مليون ومائتين ألف سيسترس خلال عهد الملك يوبا الثاني (25 ق.م-23 م) (Pline, 1999, p XIII, 91-92.) ، فضلا عن خشب الصنوبر لصناعة السفن العسكرية. حيث كانت تتواجد هذه الأشجار بكثرة خاصة في منطقة جبال الأطلس، كما أن الفيلة كانت تعيش بكثرة في عدة مناطق في بلاد المغرب القديم حتى انقرضت خلال القرن الرابع للميلاد (Aoulad, 2004, pp31-32).

غير أن هذه الهدايا لم تكن مقتصرة على مدينة رودس فحسب، بل استفادت منها كذلك جزيرة ديلوس، ومن أهمها القمح المرسل إلى معبد الإله أبولو سنة 179 ق.م (Mansouri, 2004, p144). وقد سمح هذا التصرف لماسينيسا بأن يشتهر لدى العالم الإغريقي كملك متدين ومحب للإغريق، ولهذا شيدت له الأنصاب والتماثيل كتمجيد وتقدير له (Aoulad, 2004, pp31-32).

كما زوّدت المملكة النوميدية الجيوش الإغريقية التي كانت تحارب في مقدونيا ضد الملك فيليب والملك أنطوخيوس الثالث بكميات كبيرة من القمح والشعير، ثم ضد الملك بيرسي، منها كمية قدرت بـ 200000 صاع من القمح سنة 200 ق.م، كما زوّدوها بحوالي 500000 صاع من القمح، و300000 صاع من الشعير سنة 191 ق.م. كما صدّر لجزيرة ديلوس حوالي 14500 قنطارا من القمح بيعت بحوالي عشرة آلاف دراخما لفائدة معبد المدينة (Mansouri, 2004, pp142-144). وقد بيعت هذه الكميات من القمح على مرحلتين، فتم بيع النصف الأول للشعب، والنصف الآخر وضع في خزينة الدولة التي ستبيعه على دفعات بعد ذلك (مسعي، 2017، ص138).

ولا تستبعد خديجة منصوري أن تكون نوميديا قد صدرت بعض الحيوانات كالخيول المشهورة بسرعتها وقوتها، وكذلك المواشي والماعز والثيران المعروفة بكثرتها في نوميديا، على الرغم من أن المصادر قد تغافلت ذلك. ويذكر أثيني أن ماسينيسا ناقش بترحاب مع تجار إغريق قدموا إلى شمال إفريقيا لشراء قردة الشديم[2]، وبما أن جزيرة ديلوس كانت معروفة بتجارة العبيد فيمكن أن يكون الملوك النوميديين قد اشتروا الكثير منها واستعانوا بهم في الجيش، رغم عدم وجود أدلة تؤكد ذلك (Mansouri, 2004, pp145-147).

وإذا كان من الصعب تحديد مدى أهمية كل مدينة من المدن الإغريقية في علاقاتها التجارية مع نوميديا، فإنه يبدو أن مدينة رودس كانت لها المكانة الأولى في تلك العلاقات حتى سنة سقوط مدينة كورنيثة في يد الرومان سنة 146 ق.م، حيث تحول ميناء ديلوس إلى ميناء حر فجذب ذلك التجار الإعفاء من الضرائب والإتاوات، إضافة إلا أن ميناءها كان ملائما، كما أنها تتمتع بموقع استراتيجي هام، إذ كانت قريبة من إيطاليا وآسيا ومختلف مناطق اليونان.(سترابون، 2017، ص13-10)، الأمر الذي نشط الحركة التجارية لديلوس مكان رودس، وهذا ما يفسر السبب الذي جعل التاجر الرودي يقيم نصبا لماسينيسا تشريفا له في ديلوس بدلا من مدينته الأصلية رودس. وتجدر الإشارة هنا إلى أن نوميديا لم تتعامل مباشرة مع مدينة أثينا في مسألة بيع القمح لها، بل بوساطة مدينتي رودس وديلوس اللتين استفادتا كثيرا من إعادة توريد وتوزيع الصادرات النوميدية

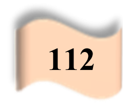
في بقية المدن الإغريقية، ويعتبر العثور على قطع نقدية تعود للملك يوبا الأول (46-60 ق.م) في ديلوس دليل مهم على استمرار العلاقات التجارية بينهما حتى سقوط المملكة النوميدية سنة 46 ق.م (Mansouri, 2004, pp142-144).

وبالمقابل فإن معرفتنا بالواردات الإغريقية للمملكة النوميدية يشوبها الكثير من الغموض، وذلك بسبب قلة الأبحاث الأثرية في المواقع النوميدية وخاصة الساحلية، وبالتالي قلة الشواهد المادية الدالة على ذلك، وهذا ما خلق ثغرات في دراسة تاريخ العلاقات النوميدية الإغريقية، ومع هذا فإن ما توفر من شواهد على قلتها تشير إلى وجود علاقات ما بين نوميديا وبعض المدن الإغريقية، ومن المؤكد أن الخمر كان من أهم المواد القادمة من بلاد الإغريق، فقد عثر على خمس جرار من رودس ومعاصرة تقريبا لعهد ماسينيسا اكتشفت بالقرب من العاصمة سيرتا، (Mansouri, 2004, p146).

كما تم العثور على ستة عشر جرة أخرى خاصة بحمل الخمر داخل الضريح الملكي بالخروب أجل إقامة الطقوس الجنائزية مستوردة من مدينة رودس، ومازال بعضها محفوظا لحد الآن في متحف مدينة قسنطينة (Aoulad, 2004, pp31-32).

وتعتبر الأدوات البرونزية من أهم البقايا التي استخرجت من منطقة الخنق غرب سيرتا، فضلا عن خمس قطع نقدية بنفس المدينة، وهي الآن محفوظة بمتحف سيرتا، منها قطعتان من إقليم إتروريا، وتحمل واحدة منها صورة ملك تراقيا ليسيماك، وقطعة من أتيكا (منصوري، 2002، ص ص98-99). وكذلك على مصابيح هلنستية، كما عثر بضريح الصومعة القريب من الخروب على بقايا إغريقية أخرى من أهمها ميدالية تمثل بوسيدون إله البحر، وعلى قطعتين نقديتين للملك الإغريقي بروسياس (183-129 ق.م) محفوظة الآن في متحف سيرتا، وكذلك على تيجان دورية وأيونية وكورنثية استعملها السكان في بناء المسجد الكبير بقسنطينة (مهنتل، 2009، ص112). كما وُجد داخل ضريحين بالقرب من مدينة سيرتا أثاث جنائزي يؤرخ بالقرن الثاني قبل الميلاد ويتكون من جرار رودية مهشمة بدرجات متفاوتة، وتتشابه مع تلك التي عثر عليها بضريح الصومعة، وكذلك على وسام يحمل صورة رأس امرأة ذات شعر مجعد قد تكون إلهة إغريقية (Berthier, 1943, pp23-32) .

كما كان النوميديون يستوردون من المدن الإغريقية الفخاريات ذات الصنع الكمباني، وقد اكتشف بعضها في مناطق داخلية بعيدة عن الساحل بل وبعيدة عن العاصمة سيرتا وبالتحديد بالقرب من مدينة تيارت (كامبس، 2008، ص243). ويمكن أن نظيف الموائد الفضية التي كان الإقبال على شرائها كبيرا طيلة العصور القديمة، ومنها تلك التي عثر عليها داخل ضريح الصومعة دون أن نعلم من أي مدينة بالتحديد استوردت، وكانت مطلوبة من طرف الملوك النوميديين، كما عثر على مصباح فخاري في شولو (القل حاليا) يؤرخ بالقرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد، وعلى مصباح آخر من تيديس مع جرة رودية (Mansouri, 2004, p146)





وفي الجانب الدبلوماسي فيبدو أن العلاقات كانت وطيدة بين الجانبين، فكثيرا ما بعث الملك ماسينيسا أبناءه الثلاثة (غلوسة ومصطنبعل وميكيبسا) كسفراء وكلّفهم بتمثيله في روما والمدن الإغريقية، وقد أقام له نيكوماد الثاني (Nicomèd II) ملك بيثينيا نصبا له نظير ما قدمه لهم من مساعدات، (Coltelloni, 2011, p558) كما شيّد سكان ديلوس لماسينيسا بمناشدة من مواطن ثري يدعى هرمون بن صولون كان صديقا له تمثالا تكريما له بعد موته واعترافا منهم بالجميل. وقد أهدوه سنة 180 ق.م تاجا مصنوعا من الذهب تقدر قيمته بحوالي 1350 دراخما بعد أن زودهم بكمية معتبرة من القمح وبثمن زهيد (Vial et Baslez, 1987, pp289-294).

ولم تكن تلك الروابط مقتصرة على جزيرة رودس وديلوس، بل كان لماسينيسا أصدقاء في مدينة أثينا عاصمة بلاد الإغريق، فتذكر المصادر أن تاجرا أثينيا كان يتباهى بالصداقة التي تربطه بالعاهل النوميدي، ومن باب التقدير والاحترام أقام له تمثالا في جزيرة ديلوس(فنطر، 1998، ص78). غير أن الإشارات الكتابية والمادية بينهما نادرة جدا.

أما فيما يتعلق بعلاقات المملكة النوميدية مع مدينة بيثينيا فهي نادرة أيضا، فلا نملك إلا بنقيشة واحدة عثر عليها بديلوس نشر سنة 1909، ويتمثل في نص منقوش على لوحة من المرمر الأبيض يذكر أن الملك نيكوماد إبيفان ابن بريسياس، قد كرّس تمثالا يجسّد الملك ماسينيسا ابن الملك غايا بعد وفاته تشريفا له لعطفه وعطف أبنائه. وقد جاء هذا التكريم نظير ما قدمه ماسينيسا لملك بيثينيا نيكوماد والمتمثل في مساعدته في ثورته على والده، وتعود جذور هذه الصداقة التي جمعتهما إلى تعارف أبناء ماسينيسا: غلوسة ومصطنبعل وماساغابا في روما حيث شاركوا معا في حملات الرومان العسكرية على مقدونيا، ومن الممكن أن روما قد طلبت من صديقها وحليفها ماسينيسا تزويد الملك نيكوماد بالغذاء والمؤن العسكرية كدعم له في حربه ضد والده عن طريق الأمير غلوسة، ولا نعرف هل هذا التحالف نتيجة لطلب روماني من ماسينيسا أو لعلاقات شخصية بينهما (Aoulad, 2004, pp34-36).

وبعد وفاة ماسينيسا سنة 148 ق.م واصل أولاده في توطيد تلك العلاقات مع العالم الهلنستي، انطلاقا من المبادلات التجارية الهامة التي كانت بينهما، فقد عثر مثلا في مدينة رودس على لوحة من المرمر مستطيلة الشكل منقوش عليها نص إهدائي مكرس للملك هيمبسال الثاني (90-60 ق.م) وهذا لأهمية المملكة النوميدية كشريك اقتصادي(Kontorinis, 1975,p p89-99) .

2. الإغريق في نوميديا

من المؤكد أن ماسينيسا كان أول ملك فتح أبواب مملكته أمام الإغريق دون وساطة قرطاج، ولم يكتف هذا الملك بإقامة علاقات تجارية مع الإغريق، بل استقدمهم إلى مملكته، حيث عاشت في سيرتا جالية إغريقية منذ بداية حكمه، وكان يستقبل المواطنين الإغريق بترحاب في قصره مهما كانت صفتهم أو مكانتهم الاجتماعية، ويتحادث معهم بمودة، وقد ذكر أحدهم أنه صديق شخصي للملك، وكتب اسمه في نص إهدائي

على لوحة رخامية. (كامبس، 2008، ص244). ويذكر سترابون أن الملك ميكيبسا قد جلب مواطنين إغريق للعيش في عاصمته سيرتا (سترابون، 2017، ص 13،13).

ويعتقد بعض الباحثين أن هناك مستوطنات إغريقية تأسست على أراضي المملكة النوميدية، عاشت فيها جاليات جاءت من مناطق مختلفة، ونستخلص من نصوص معبد الحفرة ذكر أسماء أشخاص من أصول دورية (Doriens) قدموا من منطقة البيلوبونيز ووسط اليونان، وبعضهم تراقيين (Thraces) (Aoulad, 2004, pp38-39) ، وجاء البعض الآخر من مدينة قرطاج بعد سقوطها وانتقلوا إلى بعض المدن النوميدية للعيش فيها خاصة نحو العاصمة سيرتا (مهنتل، 2009، ص255)، أما من حيث مهنهم فيبدو أن بعضهم مواطنين عاديين، ومنهم أشخاص متقفين، دون أن ننسى فئة التجار وهي الفئة الغالبة (Aoulad, 2004, pp38-39). وقد يكون بعض هؤلاء استخدموا كجنود مرتزقة قدموا من صقلية، وخدموا الملوك النوميديين، على غرار المرتزقة الإغريق الذين كانوا مجندين في الجيش القرطاجي (مهنتل، 2009، ص255). وتواصل هذا التقليد حتى عهد الملك يوغرطة، فقد أشار المؤرخ الروماني ساليست إلى وجود مرتزقة ليغوريين وتراقيين خلال حرب يوغرطة (118–105 ق.م) عملوا إلى جانب الملك النوميدي (ساليست، 1979، ص38).

لكن لم يستفد هؤلاء المستوطنون الإغريق من بسط سيادتهم على تلك الأراضي التي منحت لهم، بل كانت خاضعة للسلطة النوميدية، كما أنها لم تنتظم في شكل مدينة (Polis) على غرار ما هو معروف في العالم الإغريقي، لكنهم استفادوا من امتيازات وضمانات كفلها لهم الملوك النوميديون أنفسهم، ولا نستبعد أن تكون الجالية الإغريقية قد شيدت معابد ومؤسسات إدارية خاصة بهم نجهل تفاصلها الدقيقة لا سيما في ظل صمت المصادر الأدبية وشح البقايا المادية، وكان الكثير منهم أثرياء ومتنفذين. ولا شك أنهم نظموا حياتهم وفق تقاليدهم وعاداتهم وقوانينهم الأصلية التي كانت ضرورية للحفاظ على هويتهم وحتى على وجودهم، ومحميين من أي تعدّي من جيرانهم النوميديين (Coltelloni, 2011, pp559-560) .

ولقد ساهمت الجالية الإغريقية المقيمة في المملكة النوميدية دون شك في دفع الضرائب لخزينة الدولة، كما خلقت أنشطة تجارية كانت مصادر لعائدات معتبرة. إلا أن هذا التواجد قد اختفى شيئا فشيئا بعد دخول المملكة النوميدية في حروب داخلية وأخرى خارجية، ولا سيما بعد سقوط المملكة سنة 46 ق.م وإنشاء إفريقيا الجديدة (Africa Nova)، وسيطرة الإدارة الرومانية عليها. ووصول جاليات رومانية كبيرة استحوذت على أراضي الأفارقة بالقوة (Coltelloni, 2011, pp561-5620) ومن جهة أخرى فقد تركت الجالية الإغريقية بصمتها على منطقة المغرب القديم في مجال الطوبونيميا، ويتضح هذا في بعض الأسماء منها: اسم (امبوريا) الذي يعني باللغة الإغريقية مستوطنات، واسم تريبوليتانيا (tripolitana) والذي يعني ثلاث مدن، كما أن اسم بنزرت (Hippo Diarrhytos) يعني باللغة الإغريقية (مقطوعة بالأمواج)، وقد كانت هذه المدينة يتردد عليها البحارة الإغريق كثيرا (Desanges, 2006, pp174-176).



غير أننا لا نعرف مواقف الجالية الإغريقية من الصراعات المحتدمة أمامهم، كالصراع ما بين ماسينيسا وسيفاكس، وما بين ماسينيسا وقرطاج خلال الحرب البونية الثانية، وما بين يوغرطة وأبناء عمه، وما بين البومبيين والقياصرة فيما بعد على أرض شمال إفريقيا، ولا يمكن الإجابة بصفة دقيقة عن ذلك لانعدام المعطيات التاريخية الكافية حول ذلك (Coltelloni, 2011, p552).

3. التفاعل الحضاري

لقد تشبع ماسينيسا بمظاهر الحضارة البونية، دون أن يتجاهل الحضارات المتوسطية الأخرى، ويبدو أن الحضارة البونية هي التي ساعدته على التواصل مع الحضارات الأخرى ومن أهمها الحضارة الإغريقية فنطر، 1998، ص77). ويمكن القول أن إدخال ونشر الحضارة الإغريقية في المملكة النوميدية قد بدأت مع الملك ماسينيسا، الذي كان مغرما بالثقافة الهلينية، وقد تعددت المراكز التي أقام هذا العاهل علاقات مع ملوكها (Aoulad, 2004, 40).

وتعتبر محاولات الملك ماسينيسا وخلفاؤه هلينة المملكة كانت بمثابة اختيار ثقافي وتبني لنموذج حضاري أكثر نضجا، فكان يدرك هذا الملك أن تبني الهلينة هو عبارة عن وسيلة للانخراط وللتفاعل في العلاقات الدولية مع الملوك المجاورين. ومن الممكن أن الملك ماسينيسا أراد بتبني هذه السياسة أن يشتهر لدى حلفائه الرومان كملك متشبع بالثقافة الهلينية على غرار ملوك بيثينيا: نيكوماد الأول والثاني (Aoulad, 2004, pp29-41)، وقد تواصل هذا الشغف مع خلفائه إذ يذكر ديودور الصقلي أن الملك ميكيبسا كان يحب مناقشة القضايا الفلسفية مع المثقفين الإغريق (ديودور، 2019، ص 35،35).

ومن المعروف أن مصطنبعل قد تعلم اللغة والآداب الإغريقية، لكن لا نعرف بالتحديد أين تعلمها، هل عن طريق أساتذة ومربين ومفكرين إغريق جلبهم والده إلى مسقط رأسه، أم في إحدى المدن الإغريقية ذات العلاقات الوطيدة كرودس أو ديلوس أو بيثينيا، ولا يُستبعد أن تكون مدينة أثينا نفسها التي كانت قبلة للثقافة والمعرفة في العالم القديم. ويذهب البعض إلى أن مصطنبعل كان يتشبه بأقرانه الأمراء في منطقة البحر المتوسط من حيث اللباس والمشاركة في الألعاب الرياضية الأثينية وقد تجسّد هذا في انتصار خيوله بالسباق في الألعاب الأثينية الكبرى سنة 158 ق.م وشغفه باقتناء الأشياء الثمينة (Aoulad, 2004, pp29-41)، وكذلك الحديث باللغة الإغريقية، حتى يبدو مثل الملوك الهلنستيين كبطلميوس السادس وفيلوماتور وغيرهما، وهذا يعتبر كنوع من الاندماج في عالم البحر المتوسط (Coarelli et Yvon, 1988, p813). كما أن الملك هيمبسال الثاني كان متشبعا بالثقافة الإغريقية إذ تشير كولتولوني أنه قام بترجمة بعض الكتب البونية إلى اللغة الإغريقية (Coltelloni, 2005, pp77-81).

ولهذا كان الملك ماسينيسا يدعو بعض المواطنين الإغريق إلى الحضور لقصره، من أجل إحياء الحفلات وبعض المناسبات الهامة في الدولة النوميدية، (Bertrandy, 1994, pp1964-1977)، وكانت فخمة لدرجة أن أوانيها كانت مصنوعة من الذهب والفضة والأشياء الفاخرة (غانم، 1998، ص167)، وهذا ما تؤكده

الأنصاب النذرية التي عثر عليها في معبد الحفرة في العاصمة سيرتا. كما استقبل ماسينيسا في قصره بعض الملوك والأمراء الهلنستيين مثل ملك قورينة بطلميوس الثامن كنوع من التقرب من العالم الهلينستي والاندماج في حضارته (Coltelloni, 2005, p73).

ويجب أن تفهم هذه السياسة المنتهجة من طرف العائلة الملكية النوميدية والمتمثلة في التشبع بالثقافة الهلينستية بلغة وسياسة ذلك العصر ولا سيما في منطقة البحر المتوسط، والهدف منها جعل المملكة النوميدية كطرف فاعل ضمن قوى المنطقة المتوسطية، مستغلين تحالف ماسينيسا الهام مع روما، في الوقت الذي تريد فيه روما والقوى الهلنستية إضعاف قرطاج وعزلها عن أي دعم أو مدد من جيرانها الأفارقة، لهذا استمالوا الملوك النوميديين واتفقوا مع الطبقة الحاكمة على أهمية تعلمهم ممارسة قوانين وأبجديات سلطة وحكم العصر وفق النموذج الإغريقي، كما تأثر الملوك النوميديين كثيرا بنظرائهم الإغريق فحاولوا تقليدهم في طريقة عيشهم، كما تبنوا بعضا من خططهم العسكرية واستعملوا أسلحتهم. وقد اكتسبوا خبرة نتيجة لذلك، وكانت لهم رؤية دولية للأحداث، وتجلّى ذلك في تحالفاتهم التي تخدم مصالحهم (Coltelloni, 2011, pp557-558). ومن هنا كانت الثقافة الهلينية واحدة من العوامل التي ساهمت في سبك وتشكيل هوية المملكة النوميدية في لحظة من تاريخها (Desanges, 2006, p174)، غير أن هذا الاختيار الثقافي لم يمس في الواقع إلا العائلة الملكية ورجال القصر فقط، أما عامة النوميديين فقد ظلت بعيدة كل البعد عن أي تأثير أو تجاوب مع الحضارة الهلنستية (Aoulad, 2004, pp29-41).

ويعتبر معبد الحفرة بسيرتا من أهم مظاهر التعايش والتفاعل الحضاري بين النوميديين والبونيين والإغريق، إذ عثر على عدة أنصاب نقشت عليها كتابات إغريقية مختلطة مع الأنصاب البونية والبونية الحديثة، وتشير تلك الأنصاب[3] إلى تعبّد الإغريق للإله بعل حمون وقرينته تانيت، وهذا يدل على أنهم عاشوا في بسيرتا منذ مدة طويلة واندمجوا مع سكانها، خاصة وأن الإله الإغريقي كرونوس أشير إليه في نصين أثريين بالاسم البوني بعل حمون، والملفت للانتباه أن نصا باللغة البونية كتب كله بالحرف الإغريقي، وتؤكد هذه التفاصيل إلى أن هؤلاء الإغريق لا يكاد يتميزون في معتقداتهم عن الأفارقة المبونقين الذين يعيشون بالقرب منهم، منذ أجيال عديدة في سيرتا (كامبس، 2008، ص244)، حيث أبدت الجالية الإغريقية احتراما للآلهة البونية، وقدموا لها القرابين واستعملوا لغتهم الأم في التعبير عن مكنوناتهم الروحية (Aoulad, 2004, pp38-39).

وأحيانا كتبوا إهداءاتهم للآلهة البونية بالكتابة الإغريقية لكنها متطابقة مع الصيغ النذرية البونية، ويذكر أحد النقوش صاحب الإهداء واسم العائلة بالتسلسل، منها اسم رجل إغريقي يدعى (Sosipatros) موجها القرابين لبعل حمون وقرينته تانيت (Fantar, 1993, p15) ، كما تم العثور على بعض النقوش تحمل أسماء أشخاص إغريق تسموا بأسماء بونية، ومن الممكن أن يكون هؤلاء نتاج زواج مختلط بين إغريق وبونيين، وهذا

يؤكد على الامتزاج الحضاري والاجتماعي بين البونيين والإغريق والنوميديين داخل الوسط الاجتماعي النوميدي بعد أن كيفوها مع الحضارة الهلينية (Coltelloni, 2011, p561).

ومن جهة أخرى تؤكد تلك الأنصاب النذرية المكتوبة باللغة الإغريقية التي عثر عليها داخل معبد مدينة تبرونيكا[4] على أن هناك تفاعلا حضاريا مسّ النظام الإداري حصل بين الأفارقة والإغريق، إذ كان يحكم هذه المدينة نظام الأشفاط المعروف لدى البونيين والنوميديين، إذ كان على رأسه الشفط الأكبر وهو شخص يدعى ديفيلوس (Diphilos)، لا شك أنه شخص إغريقي لكننا لا نعرف إن كان من أصول مهاجرة أو أنه ولد في مدينة توبرونيكا، ومن الممكن أن أسلافه قد اندمجوا من قبل في المجتمع النوميدي ونالوا الحقوق كمواطنين في هذه المدينة. ويبدو أن نيل المواطنة القرطاجية أو النوميدية قد يكون بعد الزواج من امرأة محلية، والتي تنتقل إلى أبنائه من بعده (Coltelloni, 2011, pp563-567).

وبالمقابل فقد تأثر النوميديون بالديانة الإغريقية، فكثيرا ما قدم الملوك الأفارقة الهدايا لمعبد أبولو تعبيرا عن تقواهم وتقديرا لهذه الديانة، إذ كان النوميديون يعبدون بعض آلهتهم كأبولو إله الشمس، كما أدخلوا عبادة إلهتي الزراعة ديميتير وكوري إلى المعابد الإفريقية، حيث كان الأفارقة حريصين على عبادتهما، فنراهم يحتفلون بأعيادهما حسب الشعائر والطقوس الإغريقية لاسيما في أوساط الفلاحين وسكان الأرياف سعيا وراء نمو الاهتمام بالزراعة ووفرة المحاصيل (فنطر، 1998، ص79).

ومن أبرز مظاهر التفاعل الحضاري بين الإغريق والنوميديين الأخرى، التأثر في الجانب العمراني بهم من خلال بناء بعض القصور والأضرحة، ويتجلى هذا مثلا في الأعمدة والتيجان ذات النمط الإغريقي الأيوني في ضريح المدراسن الذي تم تشييده في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وكذلك في ضريح الصومعة قرب الخروب، مما يجعلنا نفترض وجود علاقات بين نوميديا والعالم الإغريقي منذ هذه الفترة على الأقل وخاصة مع جزيرة صقلية، فقد يكون الذين أشرفوا على عملية البناء من أصول إغريقية، أو قرطاجيين ونوميديين تأثروا بالهندسة الإغريقية (Coarelli et Yvon, 1988, pp761-818).

4. اللغة الإغريقية في المملكة النوميدية

لقد كان استعمال اللغة الإغريقية في المملكة النوميدية ضرورة اقتضتها الظروف التاريخية، لأنها كانت خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد اللغة الدولية الأولى في تعاملات المنطقة المتوسطية قبل أن تصبح اللغة اللاتينية هي اللغة المهيمنة خلال العصر الإمبراطوري، وذلك من أجل تسهيل عملية الاندماج في العلاقات الدولية والتعايش مع الشعوب الهلنستية، ولتواصل الملوك النوميديين مع نظرائهم في المدن الإغريقية، وللدفاع عن المصالح النوميدية، والذي انتهى بعقد تحالفات وإبرام صفقات تجارية مهمة. ولهذا عكف الملك النوميدي ماسينيسا على تعليم أبنائه اللغة الإغريقية، وعلى تربيتهم تربية هلنستية على يد أساتذة ومربين إغريق، وإرسالهم للاحتكاك بنظرائهم في قصور المدن الإغريقية كديلوس ورودس وبيثينيا وإيطاليا... (Coltelloni, 2005, p73).



وعموما فإن اللغة الإغريقية هي لغة الدبلوماسية لدى الأفارقة، لكن لم تكن لغة للسلطة داخل المجتمع النوميدي، وعلى الرغم من أن السلطة النوميدية قد استلهمت بعض الأفكار والرموز الهلنستية، إلا أن مظاهر هذه الثقافة ظلت محصورة داخل القصر الملكي فقط، ولم يستطع رجال القصر النوميدي فرض اللغة الإغريقية (Desanges, 2006, pp160-174) ، إذ ظلت اللغتان البونية والليبية هما اللغتان الرسميتان لدى عموم الشعب النوميدي واللغتان المستعملتان في النصوص الرسمية، لأن التأثير القرطاجي ظل لقرون طويلة يمنع أي تواجد للإغريق وللغتهم في شمال إفريقيا(Coltelloni, 2005, p88). وبعد الاحتلال الروماني تراجعت مكانة كل من الكتابتين البونية والإغريقية، وحلت محلها الكتابات اللاتينية، ما عدا في منطقة أمبوريا والمنطقة الطرابلسية لقربها من قورينة (Coltelloni, 2011, pp563-567). ومن هنا نرى أن الظروف التاريخية قد وقفت حائلا أمام تغلغل اللغة الإغريقية: فقرطاج أولا، ثم روما ثانيا.

ولا نكاد نعثر على شهادات أخرى تشير لاستعمال اللغة الإغريقية لا من خلال المصادر الكتابية ولا المصادر المادية، في منطقة شمال إفريقيا، ويجب أن ننتظر حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وذلك في مملكة موريطانيا حيث نجد بعض الكتابات النادرة، منها نقش عثر عليه بعاصمة يوبا الثاني قيصرية، ويتعلق الأمر بإهداء تشريفي لهذا الملك (Desanges, 2006, p174). وبعض النقوش الأخرى عثر عليها في المدن الساحلية كتابسوس تتضمن إهداءات لبعض الآلهة الإغريقية كزيوس وبوزيدون، وتجدر الإشارة هنا أن النخبة الإفريقية خلال عصر الاحتلال الروماني كانت مشبعة بالثقافة الإغريقية وتتقن لغتها بدءا بيوبا الثاني الذي كتب بها بعض مؤلفاته، وكذلك الكاتب أبوليوس (125–180م)، والقديس أوغسطين (354–430م) (Beschaouch, 2004,pp54-55) ، وكان يتسمى أصدقاء هذا الأخير بأسماء إغريقية في مدينة تاغاست (سوق أهراس حاليا) نذكر منهم أليبيوس (Alypius) وإفوديوس (Evodius) (Lancel, 2005, p497) ، ولا نعرف لماذا لم يستعمل الملوك النوميدون الكتابة الإغريقية على قطعهم النقدية، رغم أن الليبيين المتمردين (241–238 ق.م) عن قرطاج استخدموها في نقودهم عقب الحرب البونية الأولى، وكانت أغلب رموزها وشعاراتها مستقاة من الحضارة الهيلينية كالآلهة ومنها زيوس وهرقليس وأثينا وأبولون، وبعض الحيوانات كالأسد والثور (Rahmouni, 1997, pp101-113) ، وربما يعود ذلك بتأثرهم بالعملات الإغريقية في صقلية وإيطاليا كما أن لها حضور في منطقة البحر المتوسط، وربما نفسر ذلك كنوع من القطيعة السياسية مع قرطاج .(Alexandropoulos, 2002, pp289-296)

خاتمة

ويمكن القول في الأخير، أن البداية الفعلية والمباشرة للعلاقات النوميدية الإغريقية قد كانت مع اعتلاء الملك ماسينيسا العرش النوميدي، انطلاقا من الصادرات التي لعبت دورا هاما في توطيدها وتتمثل أساسا في القمح والشعير والأخشاب، ولذلك شيد لهم الملوك الإغريق التماثيل والأنصاب كشكر لهم واعترافا بالجميل. ولم يكتف هذا الملك بالجانب الاقتصادي فحسب، بل أبدى إعجابه وشغفه الكبير بالحضارة الهلينية، فسهر على

تعليم أبنائه الثقافة الإغريقية وتقليدهم في ممارسة بعض مظاهر نظام الحكم، وبذلك صارت المملكة النوميدية دولة ذات وزن سياسي واقتصادي في حوض البحر المتوسط.

كما فتح ماسينيسا وخليفته ميكيبسا أبواب مملكتهما للمهاجرين الإغريق من تجار وفنانين وعبيد... لدرجة أن البعض أكد على وجود مستوطنة إغريقية في سيرتا تمتعت ببعض السيادة، وتحت حماية الملوك النوميديين، وجعلا من العاصمة سيرتا وعاء انصهرت فيها ثقافات وهويات متعددة: اللوبية، والبونية والإغريقية، واللاتينية. وهذا يدل على انفتاح المملكة على تلك الحضارات، وسياسة التسامح التي انتهجها هو وخلفاؤه. وقد أوجد هؤلاء المهاجرون حلولا قانونية متنوعة كالزواج بنساء محليات، واندمجوا في البنيات الاجتماعية.

ويبدو من خلال معبدي الحفرة وتبرونيكا قد حدث تفاعل حضاري بين الإغريق والبونيين والبونيين، وتجلى ذلك في تبني الجالية الإغريقية لبعض الآلهة البونية كبعل حمون والربة تانيت، فضلا عن تبني الطقوس والصيغ النذرية البونية، مما دفع الأمر بعض الباحثين إلى القول أن الجالية الإغريقية قد تأفرقت. إلا أن عدد هؤلاء المهاجرين الذي اندمج في المجتمع الإفريقي كان ضعيفا جدا مقارنة بعدد المهاجرين المقيمين في المملكة النوميدية. وسرعان ما تراجع عددهم بعد الاحتلال الروماني لمنطقة شمال إفريقيا، وسيطرت اللغة اللاتينية على الإدارة ومختلف مناحي شؤون الحياة.

التعليقات والشروحات:

1- **تالنت:** وحدة وزن معروفة في العالم القديم، يختلف وزنها من بلد إلى آخر، فمنها التالنت الكنعاني وتساوي 26 كغ من الفضة، والتالنت الإيبي نسبة إلى الجزيرة أوبويه في اليونان وله نفس الوزن السابق، والتالنت الإيجي في اليونان أيضا ويساوي 37 كغ، والتالنت الأتيكي في اليونان كذلك ويبلغ 26.2 كغ، للمزيد أنظر: ديودور الصقلي، **المكتبة التاريخية**، ترجمة: حسان ميخائيل إسحق، دار الفرقد، دمشق، 2019، ص 272.

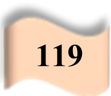
2 – **الشديم** (Macaca sylvanum): هو أحد أنواع القردة، عاش منذ الزمن الجيولوجي الرابع، يتميز بأنه قرد صغير الحجم بدون ذيل، وهو النوع الوحيد من بين القردة الذي مازال يعيش لحد الآن في الجزائر والمغرب الأقصى وجبل طارق ويرتاد الجبال الكثيفة الأشجار غير البعيدة عن الساحل، وكذلك في الغابات التلية، وقد عثر على بقاياه المتحجّرة في عدة مواقع تعود للبلايستوسين الأعلى (130000-12000 ق.م) بالجزائر منها المخابئ الصخرية في بجاية وجبال الشفة وجيجل وبصفة خاصة بتمارهات. للمزيد أنظر:

- Hadjouis (D.), Le Bihan (P.), **Atlas des mammifères quaternaires et actuels d'Algérie**, CNRPAH, n°20, ministère de la culture, Alger, 2013, p273.

3 – المثير للدهشة أن إحصاء النقوش المكتوبة باللغة الإغريقية بمعبد الحفرة جد معتبر، حيث يبلغ عدد النقوش النذرية بتلك اللغة لسبع عشرة نقشا، خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، للمزيد أنظر:

Coltelloni-Trannoy Michèle, l'usage du grec, p89

4 – **تبرونيكا:** هي مدينة نوميدية صغيرة تقع على مقربة من مدينة بولا ريجيا على مسافة عشرة كم من شمتو وسط بلاد الماسيل، وبالقرب من الخندق الملكي، وقد عاشت فيها جالية إغريقية، وعثر فيها على معبد صغير مكرس للإلهين بعل حمون وتانيت ومعاصر لمعبد الحفرة، وتعبد فيه مهاجرون إغريق.





قائمة المصادر والمراجع

المراجع بالعربية

- خديجة منصوري. (2002). **ماسينيسا ودول المدن الإغريقية من خلال البقايا المادية التي وجدت بالخروب وضواحيها**، حوليات المتحف الوطني للآثار، الجزائر، العدد الحادي عشر، ص ص98-99.
- ديودور الصقلي. (2019). **المكتبة التاريخية**، ترجمة: حسان ميخائيل إسحق، دار الفرقد، دمشق.
- سترابون. (2017). **الجغرافيا**، ترجمة: حسان ميخائيل اسحق، دار علاء الدين، دمشق، الكتاب 10، الفقرة 13.
- ساليست. (1979). **حرب يوغرطة**، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبعة محمد الخامس، فاس.
- عبد الحق مسعي. (2017). **العلاقات السياسية والتجارية بين المملكة النوميدية وجزيرة ديلوي خلال القرن الثاني قبل الميلاد**، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد24، جوان، ص138.
- غابريال كامبس. (2008). **في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ**، تعريب وتحقيق: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
- محمد حسين فنطر. (1998). **مسّينسّن وحفيده يوغرتن**، مطبعة سنباكت، تونس.
- محمد الصغير غانم. (1998). **المملكة النوميدية والحضارة البونية**، دار الأمة، الجزائر.
- مهنتل جهيدة. (2009). **التطور الحضاري لمدينة قسنطينة (سيرتا) في الفترة القديمة**، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر.

المراجع الفرنسية

- Alexandropoulos J. (2002). **L'usage du grec en Afrique du Nord, d'après les documents monétaires (IIIe s. av. J.-C - Ier s. ap. J.-C.).** In: Antiquités africaines, 38-39. pp. 289-296 .
- Aoulad T-M. (2004). **L'hellénisme dans le royaume numide au IIe siècle av. J.-C**. In: Antiquités africaines, 40-41. pp. 29-41;
- Beschaouch A. (2004). **Aspects de l'hellénisme africo-romain**. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 148e année, N. 1. pp. 53-65.
- Berthier A. (1943). **découvertes a Constantine de deux sépultures contenant des amphores Grecques**, rev. Africaine, t87, pp23-32.
- Coarelli F, Thébert Y. (1988). **Architecture funéraire et pouvoir : réflexions sur l'hellénisme numide**. In: Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, tome 100, n°2. pp 761-818.
- Coltelloni-Trannoy Michèle. (2011). **Les communautés grecques dans les cités africaines: les cas de Carthage, Cirta,Thuburnica**. In: Revue des Études Grecques, tome 124, fascicule 2, Juillet-décembre,pp 549-571.

Coltelloni-Trannoy M. (2005). «**L'usage du grec dans les royaumes et les provinces romaines d'Afrique** », in Identités et cultures dans l'Algérie antique, Cl. Briand-Ponsart éd., Rouen, pp69-117.

- Desanges J. (2006). **Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique**. In: La Méditerranée d'une rive à l'autre : culture classique et cultures périphériques. Actes du 17ème colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer les 20 & 21 octobre, pp 167-184.
- Fantar M-H. (1993). **Carthage Approche d'une civilisation**, tome2, les éditions de la Méditerranée, Tunis.

- Hadjouis D et Le Bihan P. (2013). **Atlas des mammifères quaternaires et actuels d'Algérie**, CNRPAH, n°20, ministère de la culture, Alger.
- Bertrandy F. (1994). «**Cirta** », E.B, in *XIII,* Aix-en-Provence, Edisud , pp1964-1977.
- Khadidja M. (2004) **les relations commerciales entre le royales de Numidie et les iles méditerranéennes les limites des témoignages épigraphiques et archéologiques**, actes de colloque international, les iles méditerranéennes relais de civilisations, centre Cercina pour les recherches sur les





iles méditerranéennes Kerkena, septembre,p p148-149.
- Kontorinis V. (1975). **Le roi Hiempsal II de Numidie et Rhodes**. In: L'antiquité classique, Tome 44, fasc. 1. pp. 89-99.
- Pline A. **histoire naturelle**. (1999) éditions et choix d'Hubert Zehnacker, collection folio classique, Gallimard, paris.

- Rahmouni L. (1997). **monnaies des mercenaires insurgés contre Carthage entre 241-237 av .J.C,** AFRICA, X, institut national du patrimoine, Tunis, pp101-113.

- Lancel S. (2005). « **Conclusions** », in Identités et cultures dans l'Algérie antique, Cl. Briand- Ponsart éd., Rouen, p. 453-502.
- Vial C. et Baslez M-F. (1987). **La diplomatie de Délos dans le premier tiers du IIe siècle.** In: Bulletin de correspondance hellénique. Volume 111, livraison 1. pp. 289-294.



